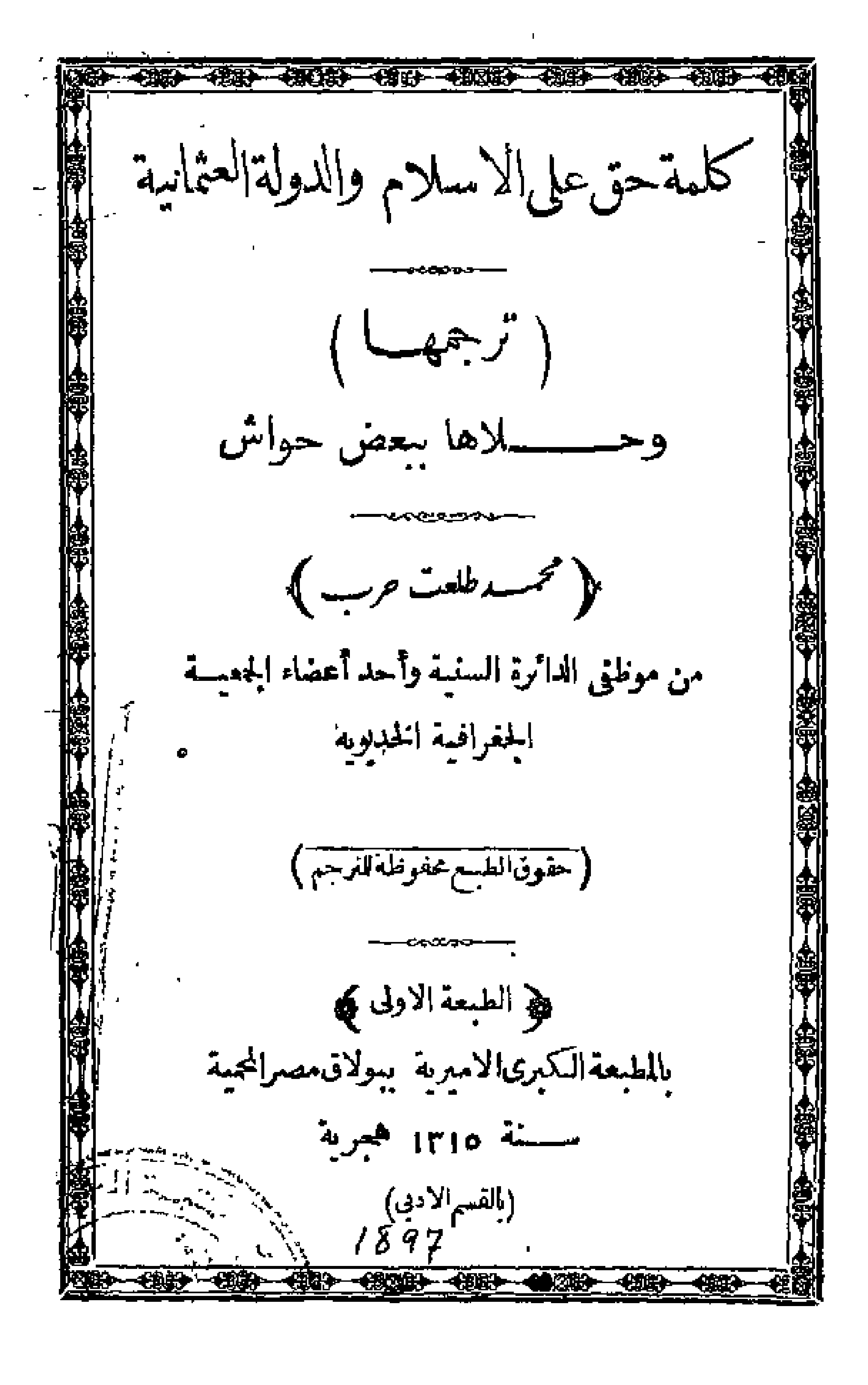


كلمة حق على الاسلام والدولة العثمانية

(ترجمها)

وحلاها ببعض حواش

(محمد طلعت حرب)

من موظفي الدائرة السنية وأحد أعضاء الجمعية
الجغرافية الخديوية

الطبعة الاولى

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٥ هجرية

(بالقسم الادبي)

1897



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وبعد فقد اطلعت على هذه الرسالة التى قدمها بالفرنساوية الى مؤتمر المستشرقين المنعقد عام ١٨٩٤ بمدينة جنيفا ببلاد سويسرا سعادة الفاضل نعمان بك كامل السكرتير الخامس بالجلالة مولانا السلطان ومندوب دولتنا العلية فى المؤتمر المذكور . فأحببت أن أشرك أهل وطنى الذين لا يعرفون الفرنساوية فى الوقوف على ما تضمنته من الفوائد والمزايا والله المسؤل فى إعلاء كلمة الحق ولو كره المبطلون ١٠

جمادى الآخرة سنة ١٣١٥ موافق نوفمبر سنة ١٨٩٧ محمد طلعت حرب

كلمة حق على الاسلام والدولة العثمانية

بلاد الدولة العثمانية هى مهد النوع الانسانى ففى عرفات تلاقى آدم وحواء بعد هبوط الاول بسيلان (سرنديب) والثانية بجدة وهنالك تعارفا وبنيا أول بيت لعبادة الله تعالى وهو الكعبة المشرفة وعلى الجودى الذى هو فرع من جبل أراراط استوت سفينة نوح أما ابراهيم عليه السلام فقد ألقى فى النار بالقرب من أورفا (الرها) ولا تزال آثار الرماد فيها

وكذلك كان ظهور التمدن على شواطئ النيل والفرات ودجلة وفيها ترعرع ومنها تفرع كما أنه باليمن كان سيل العرم الذى تفرقت بفيضانه قبائل العرب شذر مذر وانتهى دورهم الاول . وموسى عليه السلام أوتى صحفه بطورسينا وعيسى عليه السلام قام يدعو الناس الى مكارم الاخلاق فى فلسطين

ونبينا محمد صلوات الله عليه ظهر بمكة وفى ذلك نهاية المفاخر لانه سيد الاوائل والاواخر

وبالجملة

وبالجملة فان كل الانبياء عاشوا في فلسطين أو بلاد العرب وكل الشارعين والفلاسفة جاؤا آسيا الصغرى أومصر ونبغوا فيها : فكانت دعوة زرادشت (١) الناس لمذهب الأصلين (الخير والشر) بالقرب من الخليج الفارسى وعجائب الدنيا السبع (٢) انما هى فى بلاد الدولة العثمانية كما أنه كان بها أيضا الاكتشافات العظيمة فى الزراعة والصناعة ورفع الاثقال وعلم الهيئة واختراع البوصله وحروف الهجاء والعمارة والطب والطبيعة والرق المستعمل فى الكتابة وعلم

(١) زرادشت رجل من السلالة الملوكية بفارس ولد باذربيجان وظهر أيام كان الأيرانيون ضاربين خيامهم فى اقليم بلخ وجاء فى الخرافات انه أمضى طفوليته وشبوبيته فى مقاومة الشياطين والابالسة حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره عرج بروحه الى البارى تعالى فأعلمه ان أفضل المخلوقات على الارض انما هو الانسان ذو القلب الطاهر وبعد امتحانات كثيرة ابتلاه بها سبحانه وتعالى أعطاه بيده كتابا يحتوى على الشريعة وهو البستاه ثم هبط عائدا الى الارض ودعا الى هذا الدين الجديد فدخلت فيه الامة الايرانية بأسرها

(٢) هى سبعة آثار مشهورة وهى أهرام مصر وبساتين بابل المعلقة وفنار الاسكندرية وتمثال رودس وثلاثة هياكل لبعض آلهة اليونان الاقدمين

الملاحة وكما تزدان مصر والجزيرة وبلاد العرب بالاهرام والبساتين المعلقة وإرم ذات العماد

وحيثما قلبنا الطرف فى خريطة هذه المملكة رأينا كل بقعة من بقاعها وكل صقع من أصقاعها منبعا للحضارة والعمارة والشوكة والاقتدار والدليل على ذلك ما كانت عليه ممالك آل حمير وبنى قحطان ودولة المصريين والبابليين والكلدانيين والاشوريين والماذيين والفرس ودولة الاسكندر والاتيوبيين واليهود والعمالقة والفنيقين ومدينة تدمر ودول الغسانيين والبطالسة والسلجوقيين والساسانيين والجمهوريات القائمة على سواحل البحر الابيض المتوسط وقرطاجنه ومأرب وسبأ وغيرها

وكانت بلاد الدولة أيضا على الدوام مرمحا لمنافسات الممالك المتغلبة على العالم وكل مملكة تم لها الفوز والظهور سعت فى إزالة رسوم تمدن الدولة التى سبقتها كيلا تبقى فى الارض إلا ماهو من خصائصها . وهذا هو السبب فى كون مدن تروادة وتدمر

وطيبة

وطيبة ومنف ونينوه وبابل (١) وغيرها التى كانت عواصم الدنيا اصبحت أطلالا بالية وذلك لانه كان ينقص التمدّن القديم أمر واحد وهو العلم بحقوق الامم والعمل به فيما بينهم فجاء الاسلام هاديا اليه مقرّرا لقواعده فظهر هذا النور فى العالم بظهور سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام فدعا الناس الى الصراط المستقيم وقال (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) ومن نظر الى الاسلام وجده مشابها للشريعتين اللتين أنزلهما الله تعالى على موسى

---

(١) تروادة مدينة قديمة بآسيا الصغرى حاصرها قدماء اليونان مدة عشر سنوات فشاع صيتها واكثر شعراؤهم من ذكرها واخصهم هوميروس . أما تدمر فهى احدى مدائن تركية آسيا وأطلالها لاتزال موجودة للآن بصحراء سوريا . وطيبة ويسمونها أيضا طيوه عاصمة الصعيد فى أيام الفراعنة وفى بعض مكانها الآن مدينة الاقصر أو قصور أبى الحجاج . ومنف الاسم العربى لعاصمة مصر القديمة فى محلها الآن قرية ميت رهينة بالجيزة . ونينوه مدينة مشهورة بالعراق كانت عاصمة الاشوريين . وبابل هى المدينة الشهيرة بالعراق وفى مكان أطلالها الآن قرية الحلة ويقال انها بلغة الكلدانيين باب ايل أى باب الله

وعيسى عليهما السلام فى كونه قائما على خمس قواعد اعتقادية وخمسة أركان عملية فالاعتقادية هى

أولا — الايمان بالله واحد فرد صمد هو الحق سبحانه وتعالى الذى لاتدركه العقول ولا تحده الاوهام وليس كمثله شئ لانه تنزه عن المادة والزمان والمكان لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد

ثانيا — الايمان بملائكته الذين خلقهم من الانوار الروحانية

ثالثا — الايمان بالكتب المنزلة على أنبيائه المرسلين ليحكموا بين الناس بالعدل والحكمة

رابعا — الايمان بالانبياء وأولو العزم منهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ولا يعلم عدد الانبياء الا الله وهم الذين اصطفاهم من عباده وآتاهم الكتاب والحكمة وعصمهم عن الخطايا وبعثهم الى الخلق مبشرين ومنذرين ليستقيم أمر الناس فى دينهم ودنياهم .

خامسا — الايمان باليوم الآخر وهو يوم الثواب والعقاب

والعملية هى

أولا – (١) الصوم أى الامساك عن الشهوات طول النهار مدة شهر كامل فى كل سنة حتى يتسنى للانسان أن يعرف مقـدار ما أوتى من نعم الله وخيراته فيحمـده عليها وينظر الى من هـم دونه فيها أو المحرومين منها فتأخذه الشفقة والمرحمة عليهم

أما من كان مريضا أو على سفر أو من النساء اللاتى فى المحيض أو النفاس فيحرم عليه الصوم (٢)

ثانيا – اقامة الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة ليحاسب الانسان نفسه أمام الحق سبحانه وتعالى على أعماله فتكون معاملته مع الناس بالحسنى وطهارة الجسم والثياب شرط من شروط صحة الصلاة . ولذلك

---

(١) هذا الترتيب على حسب الاصل الفرنساوى أما لفظ الحديث الكريم فهو (بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمـدا رسول الله وأقام الصـلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليـه سبيلا)

(٢) هـذه عبارة الاصل والذى أعلمه من الفقه أن الممنوع من الصوم هو النساء الحائضات والنفساء أما من كان مريضا أو على سفر فهو مخير اذا قدر خصوصا المسافر وان يصم خير له

لايجوز للحائض أو النفساء أن تصلى حتى تطهر

ثالثا - حج البيت الحرام لمن استطاع اليه سبيلا صحة ومالا ومن ثمراته اجتماع أفراد مختلفين من كافة أنحاء الدنيا فى صعيد واحد فى كل سنة ليتعارفوا فتتمكن بينهم الالفة والمودة

رابعا - إيتاء الزكاة وهو أن يعطى الانسان الفقراء مرة فى كل سنة ربع عشر النصاب الذى يملكه فائضا عن حوائجه الاصلية وحال عليه الحول

خامسا - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

هذه هى الاركان الخمس الواجب على كل مسلم أن يجعلها عماده فى أعماله ومن أراد الوقوف على جميع أحكام الدين الاسلامى يجدها ملخصة فى سورة العصر وهى

قال تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

فبهذه المبادئ القويمة والاحكام الجليلة سطع نور الاسلام فى أفق العالم المتمدن الذى كانت تتقاسم الحكم عليه وقتئذ دولتا

الروم

الروم والفرس ولا يخفى أن هاتين الدولتين قد حلتا محل من سبقهما من الامم العريقة فى التمدن والعمران وورثتا عنها علومها ومعارفها ومدنيتها وحضارتها ولذلك كانت لهما السيادة على أفضل بقاع الارض وأبركها كما ازدانتا بالسابقين فى ميدان العلم والحرب

الفتح الاسلامى بحرية الاديان والعدالة

هل كان فى وسع الاسلام أن يعلى كلمته ويرفع رايته بحد الحسام ولم يكن القائمون به إلا بضعة آلاف من العرب

كلا فان البطل الهمام أتيلا (١) ومعه ملايين من أقوام

(١) أتيلا أحد ملوك آسيا قومه يسمون الخون أو الهون وجد فى القرن الخامس المسيحى وأغار على بلاد المشرق والمغرب ودوخ أقواما وخرب مداشن وبلادا وكان جبارا عاتيا حتى قيل عنه انه مصيبة من السماء على من فى الارض وكان يفتخر بان العشب لا ينبت حيث وضع حصانه قدمه

الحون أو الهون (Huns) لم يتيسر له أن يتغلب على البلاد المتاخمة لمملكة الرومان وغاية ماتوصل اليه بعد الجهد والعناء أنه تمكن من العبور بها مع جيوشه الجرارة من غير أن يتم له اخضاع أهلها .

أما الاسلام فلم تكن لديه تلك الملايين من النفوس ولا تلك العدد الحربية الكاملة التي كانت عمادا للفرس والروم في حروبهم بل انه كان لايذكر بجانب أخصامه من حيث العدد والقوة والنظام فما هي اذا تلك القوة التي تيسر بها للاسلام أن يخضع العالم المتمدن في أقل من خمسين عاما

لعمري انها حرية الاديان والمساواة في الحقوق والاخاء بين المسلمين مهما كان جنسهم من غير تمييز ولم تك هذه المبادئ الشريفة اللازمة للكمال الانساني والتمدن الحقيق معلومة قبل الاسلام فظهرت بظهوره وفضلا عن ذلك فان صلح الحديبية (١)

(١) هو الصلح الذي حصل بينه عليه الصلاة والسلام وقريش حين منعوه من البيت الحرام بمكة وكادت تشتبك الاسنة بين الطرفين ثم تصالحا على شروط هي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنين (٢) من جاء

يشهد

يشهد بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الذى أمضى أول معاهدة دولية فى العالم

ولما حاصر المسلمون بيت المقدس فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاف النصارى المحصورون أن تكون حرية الاديان والعدالة التى وعدهم بها المسلمون خدعة وحبالة فاشترطوا لتسليم البلد حضور الخليفة بنفسه اليهم ليوقع أمامهم على معاهدة الصلح والتسليم فلم يلبث أن بارح عمر المدينة وجاء بيت المقدس ووقع على المعاهدة الشهيرة التى تم بها دخول هذه

= المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج قريش منها فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح الا السيف فى القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه . وقصة هذا الصلح مشهورة فى كتب التواريخ والسير النبوية فليراجعها من يريد الوقوف على تفصيلاتها

المدينـة فى حوزة الاسلام (١) . فاستبشر المسيحيون من آريين ونسطوريين وغيرهم بهذا الفتح واستقبلوا الاسلام كاستقبال الاسير لمن يفك قيوده وفتحوا أمامه أبواب المدائن ودخـل أكثرهم فى الدين الاسلامى الحنيف . أما النصارى واليهود الذين حافظوا على دينهم فقد عاشوا فى ظل دولة الاسلام فى هناء ورغد عيش لم يروا شيأ منهما فى عهد الدولة الرومانية فلم يأسفوا قط على زوال حكمها وذهاب أيامها وكانت معاملة الاسلام هذه هى التى جذبت اليـه القلوب وسلمت له البـلاد والنفوس حتى ان هرقل قيصر الروم المشهور بالشجاعـة والاقدام لم يحارب المسلمين الا مرة واحـدة دارت فيها الدائرة عليه باليرموك مع أن جنوده كانوا عشرة أضعاف القائمين بنصرة الاسلام فرأى من الحزم بعد هذه الهزيمة أن يقول (اسـتودعك الله ياأرض الشام اسـتودعـك الله الى ماشاء الله)

(١) هـذه صورة المعاهدة أخـذنا من كتب التواريخ « انكم آمنون على دمائكم وأموالـكم وكنائسكم لاتسكن ولاتخرب الا أن تحدثوا حدثا عاما » وأشهد عمر على ذلك شهودا

وانسحب

وانسحب عنها وملء قلبه الحسرات فانه أدرك حينئذ أن الاسلام لم يفز عليه بحد الحسام بل بالحكمة القويمة وطهارة المبادئ التى نزل بها القرآن الكريم فاستمالت القلوب وأخضعت الامم فى أفريقيا وجزء عظيم من آسيا حتى صار أهلوها مسلمين أوذميين

وفى سنة ٧١١ مسيحية دعا أهل اسبانيا المسلمين ليحكموا بلادهم تخفق على أرجائها الهلال . فلم يكن اذا الفتح الاسلامى بطريق الاجبار والاكراه لأن ذلك ممنوع بقوله تعالى (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وبقوله تعالى (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)

ودام الحال على هذا المنوال حتى هب النصارى فى القرن العاشر المسيحى الى الحروب الصليبية فتلطخ وجه الارض بدماء المسيحيين والمسلمين ودخل النصارى تحت قيادة القائد (جودفروا دوبويون) (١) بيت المقدس بكيفية تخالف تمام المخالفة تلك

(١) يعرف هذا القائد فى كتب المسلمين بغودفرى

الطريقة السلمية العادلة التى دخله بها عمر رضى الله عنه قبل ذلك بثلاثة قرون

ومع ماكان حينئذ بين المسلمين والنصارى من اشتداد الخطب واحتدام الخصام فان صلاح الدين الايوبي لم يغفل طرفة عين عن العمل بقواعد حقوق الامم التى قضى بها الكتاب المجيد فانه حينما كان يعقد الهدنة كان يدعو خصمه ريكاردوس قلب الاسد لتناول الطعام معه كأنه لم يكن بينهما نزال ولا قتال حتى اذا رجعا الى اشتباك الاسنة كانا يستميتان فى القتال ويسعى كل منهما فى التنكيل بصاحبه باشد أنواع النكال كأن لم تكن بالامس بينهما مصافاة ولا مؤاخاة . وأفضل ماامتاز به الاسلام عدم وجود تمييز بين أهله وان أخص أحكامه منحصرة فى قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وفيه أكبر ضمانة لتأمين أهل الذمة على أرواحهم ونسائهم وأموالهم لافرق فى ذلك بينهم وبين المسلمين وعن ذلك نشأ التساوى فى الحقوق والاخاء بين المسلمين وحرية الدين . كما أن الاسلام لايعتبر وجودا لتقسيم الممالك وتمايزها على

بعضها كما هو المتعارف عنـد غيره فى السـياسة بل انهـم كلهـم مسلمون تجمعهم جامعة واحـدة هى جامعـة الدين لافرق فى ذلك بين العرب والترك والفرس والكرد والالبانيين والصينيين والهنود وغيرهم

وهذا هو الذى سهل انتشار الاسلام وتغلبه وكما فتح المسلمون الشام وأفريقيا وآسـيا كذلك فتح محمود (الغزنوى) بلاد الهنـد والسلجوقيون آسيا الصغرى والعثمـانيون بـلاد الروم والتـاريخ أصدق شاهد على مانقول

(الدولة العثمـــانيـــة)

نعم قد كان مؤسس هذه الدولة قانعا بما آتاه الله فى بلاده الاصلية وكان هو وقومه متخذين مبادئ الدين القويم ونص القرآن الكريم لهم اماما فكانوا مثالا للفضيلة والشهامة والعدالة فلم يلبث

أن استدعته مدائن نيقيا (١) ونيكومديا (٢) وماعداها من بلاد بوتينيا فدخلت فى حكم العثمانيين عن طوع واختيار لا عن عدوان واجبار وعلى هذا المثال كان تسليم أهالى بروسه (٣) بلدهم لابنه أورخان ولم يكن وقتذاك فى كل العالم جيوش مستدعة فأوجد أورخان جيشا منظما من الانكشارية (٤) وقد نسجت سائر

(١) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى واقعة شرقى مدينة بروسه شهيرة بعمل الخزف والصحاجيد المتقنة اسمها الآن أزنيك

(٢) مدينة قديمة يونانية بآسيا الصغرى أيضا اسمها الآن ازميد كانت تختا لمملكة بوتنيا التى هى احدى ولايات آسيا الصغرى قديما واقعة على بحر مرمره يدخل ميناها أكبر السفن ولها مياه معدنية ومعامل للحرير وأنشئت فيها سكة حديد تصل الى بورسه ويبلغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة

(٣) مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية وبها مياه عديدة شافية لكثير من الامراض ويرحل اليها فى زمن الصيف كثير من الاغنياء لترويح النفس واراحة البدن

(٤) اسم هذا الجيش ينى تشارى ويرسم بالتركى هكذا (يكيچارى) أى الجيش الجديد ثم حرف فصار انكشارى

حكومات

حكومات أوروبا على مثاله فى تنظيم الجيوش الدائمة فيها

ولقد طلب محافظوا تراقة تراقيه أو (Thrace) (١) وترواده وأمثالهما الحكم الاسلامى على بلادهم كما حصل ذلك فى غرب أوروبا حينما طلب الكونت جوليان من موسى بن نصير عبور المسلمين الى اسبانيا وادخالها ضمن مملكتهم الواسعة

ولما تم فتح آسيا الصغرى وتراقة بطريقة سلمية لم تسفك فيها الدماء عادت أوروبا الى اشهار حروبها الصليبية ضد الدولة العثمانية ولكن لم يكن القصد منها فى هذه المرة تخليص بيت المقدس من يد المسلمين كما كان الغرض من سابقتها بل أرادوا أن يخلصوا بوزنتيا (التى هى بعض الاستانة الآن) بجرت الانهار بدماء الابرياء فى سهول قوص أوه ونيكوپلى ووارنة . وليس من ينسى ما كان يعامل به أسرى الحرب من المجاملة واللين وكيف اشخصوا الى ديارهم باوروبا سالمين بدون أن يحصل لهم أى أذى أو تؤخذ عنهم فدية عظيمة ورأى العثمانيون حينئذ أن استيلاءهم على القسطنطينية

(١) تراقية ولاية بتركية أوروبا هى الآن عبارة من ولاية أدرنه

أصبح ضربة لازب لحفظ دولتهم فأنذرها السلطان محمد الثاني بالتسليم فأبت فألزمها بذلك وأخذها عنوة ولم يكن منه الا أنه سار على خطة الخليفة عمر رضي الله عنه فسكن جاش المسيحيين المشتتين وأعاد عليهم بطرركهم ومنحه امتيازات جعلتهم جميعا ألسنا تلهج بالشكر له والثناء عليه

كذلك كان حال الاسلام في كل فتوحاته فلم يجاهر المسلمون مطلقا بهذه الكلمة التي كانت شعارا لجميع الجيوش الفاتحة وهي « سحقا للمغلوب » والتاريخ أكبر دليل على أنهم كانوا في معاملة المغلوب لايعرفون سوى الشهامة والمروءة والانسانية ولما دان للدولة العثمانية أكبر قسم من اسيا وأوروبا وأفريقيا في عهد السلطان سليم الاول اعترف لها الكل بأنها خير كفء للذب عن الحرمين الشريفين فبايع آخر الخلفاء العباسيين الذي كان وقتئذ بمصر سلطان العثمانيين بخلافة الاسلام فلم يكن بين العائلات الملوكية كلها حتى الاسلامية منها مايعادل السلالة العثمانية في حسن القيام بما هو مفروض عليها نحو رعاياها ونحو الامم الاجنبية مع

مراعاة

مراعاة حقوق الامم والاحكام الشريفة التى قضت بها الشريعة الغراء

ومن المعلوم أن حوادث باقيا (١) التى أوجبت على فرنسيس الاول ملك فرنسا أن يقول (قد خسرنا كل شئ ماعدا الشرف) كانت سببا فى تكليف السلطان سليمان خسائر باهظة للتوصل لاحتلال بلاد المجر (هنكاريا) ومحاصرة مدينة ويانا عاصمة النمسا الآن وخصوصا فى الحرب البحرية التى اشتهر فيها خير الدين ودوريا (٢)

(١) يشير للوقعة التى انهزم فيها فرنسيس الاول ملك فرنسا أمام شارلكان وأخذ أسيرا فكتب لوالدته يخبرها بما صار وفى ختام كتابه قال لها هذه الجملة (قد خسرنا كل شئ ما عدا الشرف) والى نجدة الترك لفرنسا وقتئذ وابتداء عهد الامتيازات التى منحت للاوربيين ببلاد الدولة وبشمنها الشرق الآن .

(٢) خير الدين باشا هو قائد بحرى عثمانى اشتهر فى كتب الافرنج باسم باربروس أى ذى اللحية الصهباء له وقائع مشهورة ومآثر مأثورة مات سنة ٩٥٢ هجرية وقد تجاوز سن الثمانين وجاء معنى هذه العبارة (مات الرئيس البحرى) تاريخا لوفاته . دوريا هو قائد بحرى شهير من عائلة جنوية الاصل حارب ضد فرنسا ثم معها وحصل بينه وبين مراكب العثمانيين عدة =

ولقد شبه ابن خلدون الدول بجسم الانسان ينمو فيترعرع ثم يصيبه مرض فيعتل ويذبل فتأتي الاطباء لمعالجته وشفائه فالدولة العلية كباقي الدول الاخرى مرت عليها أيام عز ورخاء وأيام بؤس وشقاء فأتاح لها الله السلاطين العظام مثل عبد الحميد الاول وعبد المجيد وخصوصا سلطاننا الحالي الغازي عبد الحميد الثاني كما يتيح للمرضى الاطباء فصدعوا بالامر وعالجوها من دائها ليشفوها وليس من يجهل ما كانت عليه حالة الدولة العلية يوم ألقيت مقاليدها الى سلطاننا هذا على الشان فكل ماتراه اليوم بها من رونق وزهاء ونشر تعليم ومعارف وفتح مدارس وخلافه انما هو من بعض أياديه وغرس نعمائه ويكفينا شاهدا على ذلك ماأنشأه من المدارس العالية ملكية وعسكرية والمدارس

= وقائع واشتغل في آخر أيامه بتنظيم جمهورية جنوه وطنه حتى استحق أن يلقب بأبي الوطن وأقيم له تمثال عظيم كتب عليه (الى أبي الوطن) وكانت ولادته سنة ١٤٦٨ ووفاته سنة ١٥٦٠ وقد قهره خير الدين في واقعة بحرية شهيرة جدا

الطبية

الطبية ومدارس الخرس والعميان ومدارس الفنون الجميلة والتجارة ومدارس الفنون والصنائع والمدارس الثانوية التى تعدّ بالالوف والمنتشرة فى كل أنحاء الدولة حتى فى القرى الصغيرة ودار الرصد ودار التحف ومدرسة الحقوق ومدارس الفقه والسكك الحديدية الشرقية كالخط من سالونيك للإستانة والخط من سلنيك لمناستر ومن الاستانة لأنقره ومن بيروت لدمشق ومن يافا لبيت المقدس ومن مرسين لأطنة ومن عكا لدمشق ومن دمشق لبرهجك وغيرها واستخراج معادن بلغارطاغ وقيبان معدن واركانى معدن واركلى وقره سى وغيرها وما أحدثه من بناء مرافىء الاستانة وبيروت وسلانيك وتجفيف مستنقعات اسكندرونة وچاى أكزى وقره أغاج ومن البنوك الزراعية ومن صناديق الاقتصاد وصناديق المعاشات الملكية والعسكرية وخطوط الترامواى والفابريقات وما أوجده من المساجد العديدة والاسبلة والحمامات العمومية والكتبخانة السلطانية وتنظيم المالية العثمانية التى أصبحت يوثق بها ويعتمد عليها فى أوروبا كل هذه آيات بينات تنطق بجلالته بالفضل واعظمته باليد الطولى

هذا ويسوؤنا أن الذين يفدون من أوروبا الى بلاد المشرق بقصد النزهة أو السياحة والاستكشاف قد اعتادوا على النزول فى الفنادق الفاخرة فيبحثون على أن يروا فى بلاد الدولة العلية حقيقة الصور التى يشاهدونها فى متاحف أوروبا العظيمة فلا يجدون من آيات الجمال الاتلك الاطلال القديمة التى كانت تقيم فيها أكبر ملوك الارض منذ ألفين سنة أو ثلاثة آلاف ولكونهم غير واقفين تمام الوقوف على أحكام القرآن الشريف فهم يتهجمون على الظن بأن هذه الاطلال الدارسة الكائنة بديار الدولة العلية انما هى آثار التعصب الاسلامى ودليل على قيام المسلمين بابادة كل مالم ينطبق على ذوقهم أو يخالف عقيدتهم كما كان شأن الافرنج من معاملة الهراتقة والمخالفين لهم فى الدين أمام محكمة التفتيش القسيسى أو كقيام الكاثوليك على البروتستانت فى يوم سان بارتيلمى المشهور (Saiut - Barthélemy) فهؤلاء السائحون يقتفون آثار فولنى وشاتوبريان ورينان وغلادستون (١) (Volney, Chateaubriand, Renan et Gladstone)

(١) فولنى — كاتب فرنساوى شهير توفى سنة ١٨٢٠ رينان — كان =

فى تشديد النكير على الاسلام والقاء تبعة ذلك كله عليه . على أنهم ينسون أو تيناسون أن اعفاء هذه الآثار لم يكن الا بفعل الامم وتأثير الديانات السابقة على الاسلام وأن الدين الاسلامى لم يحض على التساهل الدينى فقط مع أهل الكتاب ((ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن)) بل منع من نشره بالاكراه أو التحيل بالطريقة التى يفعلها غير أهل ملته . فهو لم يسد مدة أربعة عشر قرنا على كثير من الامم والبلاد المتمدنة الا لكونه منبع الكمال والاعتدال

= من أعضاء مجلس سناتو فرنسا ولد سنة ١٨٢٣ تعلم جملة لغات وساح فى كثير من بلاد المشرق وليس الاسلام فقط هو الذى لاقى منه تشديدا وتقريعا بل انه وضع كتابا أيضا عن المسيح عليه السلام قام عليه بسببه القسيسون واضطهدوه فى بلده حتى أزلوه من وظيفة تدريس كان تقلدها سنة ١٨٦٢ ومن وظائف أخرى بعدها ومات سنة ١٨٩٢

وشاتوبريان — كاتب فرنساوى شهير مات سنة ١٨٤٨ تولى الوزارة مرة وله مؤلفات كثيرة شهيرة منها كتاب آخر بنى سراج الذى عربه حديثا الامير شكيب ارسلان

غلادستون — هو رئيس وزراء انكلترا الاسبق ورئيس حزبها الحر ولد فى ٢٩ دسمبر سنة ١٨٠٩ وحاله معلوم

أما الحرب عند المسلمين فمقررة بحسب نص هذه الاية الشريفة ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ فمن هذه الآية يتضح جليا أن الاسلام لم يتحرش ولن يتحرش مطلقا بأحد من الامم وانه لم يحارب الا دفاعا عن حومته سواء كان غالبا أومغلوبا لقوله تعالى ﴿ وما النصر الا من عند الله﴾ يؤتيه من يشاء

ورب معترض يقول اذا كان الامر كما ذكرت فلماذا لاتوجد فى أوروبا أطلال وخرائب كما هو الشأن فى بلاد المشرق فأقول ان الاسلام لو كان يقضى بعدم التساهل مع الاديان الاخرى أو بابادة معالمها كما يدعون فلماذا لم يخرب طليطلة وقرطاجنة وشريش حينما كان حاكما على أوروبا مدة ستة قرون

أرونى مدينة واحدة أخربها الاسلام أومذبحة واحدة أمر وقام بها الاسلام . ذلك ليس فى الامكان اللهم الافى مخيلة أمثال فولنى ورينان (١)

(١) لما كان لايعدم الحق فى كل زمان ومكان نصيرا فقد وجد للدين الاسلامى كذلك بعض نصراء فى أوروبا وضعوا مؤلفات أظهروا فيها فضله وفندوا =

وهذا

وهذا هو الامر الذى أرجو حضرات أعضاء هذا المؤتمر الدولى والعلماء الافاضل الذين يسيحون فى الشرق أن يلتفتوا اليه وانى أسألهم باسم المدنية والانسانية وحب اظهار الحقيقة أن ينصفوا الاسلام ومباديه وأن لايحكموا الابما يشاهدونه وبحسب مايقع من التأثير على أنفسهم فيتيسر حينئذ لاهل العلم

أن يعرفوا للاسلام حقه ويجاهروا بماله

من الفضل على التمدن وعلى

بنى الانسان

م

هذه هى الرسالة الشائقة التى أحببت أن أطلع عليها أبناء وطنى وقد علمت أن حضرة واضعها نعمان بك قد ندب عن دولته السنية أيضا فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد هذا العام بباريز وألقى خطبة أنيقة موضوعها عدالة الاسلام وسنأتى ان شاء الله على تعريبها متى عثرنا على نصها

* مفتريات خصومه بحجج دامغة وبراهين عقلية سديدة ومن بين هذه المؤلفات كتاب اسمه الاسلام وضعه فرنساوى ذو حيثية عظيمة فى بلاده يدعى الكونت دوكاستر وضمنه أغلب ماجاء فى هذه الرسالة وقد بلغنى أن حضرة وطنينا الفاضل أحمد بك فتحى رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية معتن بتعريبه جزاه الله عن الاسلام وبغيه كل الخير

﴿ يقول الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى خادم تصحيح العلوم
بالمطبعة الاميرية الكبرى ببولاق مصر ﴾

تم طبعه . وحسن وضعه . بالمطبعة البهية ببولاق مصر المعزيه على ذمة معتربه العلم الشهير والبدر المنير الفطن اللبيب والجهبذ النجيب حضرة محمد افندى طلعت حرب من مستخدمى الدائرة السنية ۞ فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداورية من بلغت به رعيته غاية الامانى أفندينا المعظم ﴿ عباس حلمى الثانى ﴾ أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه ملحوظا هذا الطبع الجميل على هذا الشكل الجليل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية محمد بك حسنى فى أواخر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة بعد ثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله
على أكمل وصف صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وصحبه
وشرف وكرم

م